

## 183- تختار الوعي الوطنى (والثقافة)

## تختار الوعي الوطنى (والثقافة)

أما قبل: ما معنى كلمة يتختر؟

الأسهل أن نتذكر الكلمة العامية التى تستعملها الأم الفلاحة وهى تلوم ابنتها أنها لا تعرف كيف "تغلى اللبن"، إذا استعملت ناراً هادئة، أو طريقة خاطئة، حتى تجعل اللبن يقطع، أو "يجبن". الذى رأى هذا المنظر يعرف أن اللبن السائل (خاصة إذا كان دسماً. من ثدى الجاموسة مباشرة) المتماسك القوام، الخضر النكهة، الملى بالحنان والوعد، قد انقلب إلى قطع متعددة متناثرة لا تصلح لا للشرب، ولا لأى شئ آخر، الذى خبر ذلك يعرف معنى أن "اللبن جبن". أحياناً تكون هذه الفلاحة أكثر حدة وهى تقول لابنتها: "الله يجيبك" والله ما انت نافعة، شوف اللبن قطع منك ازاي؟

تذكرت هذه الظاهرة وأنا أبحث عن أى شبيكية ضامة تجمع الناس، ناس هذا البلد الكريم، إلى بعضهم البعض، هذه الظاهرة هى التى دفعتنى لاستعمال هذه الكلمة، أكثر من استعارتها من الدم حين يتختر (يتجلط).

كان ينبغى أن أؤكد للقارئ ابتداءً هذا المعنى الذى استلهمته من العامية المصرية "جبن، أو قطع" لأن المعنى بالفصحى لكلمة ختر هو "تخن وغلظ"، صحيح أن الوعي القومى عندنا تخن وغلظ حتى البلادة، إلا من الفقايح التى تظهر على سطحه، والتى قد تدل على فساده، ولكن الذى أعنيه أكثر هو أن الوعي القومى قد "جبن، وقطع" والذى كان قد كان.

اللبن حين "يتقطع" لا يعود لبناً نافعا لأى شئ، والوعى إذا تختر لا يعود وعياً قادراً على أى شئ.

كيف يتكون الوعي العام وكيف ينمو ويتطور؟ كنت دائماً أكرر توصيفاً للمثقف والثقافة، أحدثه بين الحين والحين، حين اعتبر أن المثقف (من غير صفة المجلس الأعلى للثقافة) هو الذى يمثل جُماع وعى ناسه، وهو الذى - المفروض يعنى - يدفعهم إلى أحسن الممكن وما بعده، حتى لو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، تَرَى ماذا أعنى بتعبير "جُماع وعى ناسه"،

هل لهذه المجموعات - الكتل المتناثرة - الآن وعى خاص يجمعهم إلى بعضهم البعض؟

الإجابة هي "نعم طبعاً"، لكل جماعة وعى يجمعهم، فثقافتهم.

طيب!!، فهل يوجد وعى عام يجمع ناسنا إلى بعضهم البعض وإلى وطنهم؟

الإجابة هذه المرة هي بالنفى؟

ليس معنى ذلك أنه انعدم هذا الوعي المشترك، فهو يقفز رغماً عنا ليثبت وجوده بين الخين والخين، مثلاً: في الحرب قبل أن تجُهِض، وفي كأس الأمم الأفريقية حتى يهرب الحضري وتهرب معه نوبة يقظة الوعي تسكيناً.

وغير ذلك من مثل ذلك.

ماذا يتبقى بعد فورات الكرة، وانتفاضات القتال أو الحجارة أو الجوع؟ ماذا يجمع الناس، ناسنا نحو ماذا؟ حول ماذا؟

دعك من حكاية المشروع القومي الغائب وصحف المعارضة الصارخة ألماً أو سخرية أو سخطاً، ماذا يجمع الناس حول ماذا؟

أصبحنا الآن نعيش مئات الثقافات (إن لم يكن أكثر) وكل ثقافة لها عشرات التنوعات والتشكيلات لوعيها الخاص؟

عندنا ثقافة الميكروباس، وثقافة الإدمان، وثقافة الروشنة، وثقافة الحجاب (وإن تعددت بداخلها ثقافات فرعية كثيرة) الوعي العام "جبّين"، قطع، تحنّر، أصبح قطعاً غليظاً مفتتة لا يجمعها إلا جدار إناء هش. خذ عندك من بعد آخر:

ثقافة الساحل الشمالى، وهي تختلف عن ثقافة العين السخنة، وثقافة المنتجات الجديدة، وثقافة المدن المستوردة البعيدة (هل لاحظت الإعلان بالانجليزية عن مدينة "كذا" في ضواحي القاهرة مثلاً: وهو يحمل كلمات تقول "عذراً ليست لكل أحد" Sorry, not for everyone، هذا تنبيه ألا تقترّب بثقافتك المجهولة الهوية من الثقافة الخاصة جداً لهذا المجتمع، وذلك في مقابل ثقافة عزبة القصرين وثقافة حارة السكر والليمون، وثقافة قرية تفهنا العزب... أو كوم يعقوب.

على مستوى التعليم خذ عندك: ثقافة مدارس اللغات (وداخلها أيضاً ثقافات متعددة) وثقافة مدارس التجهيل، وثقافة مدارس الغش الجماعى، وثقافة الجامعات الرسمية، وثقافة الجامعات الخاصة، إلخ..... إلخ

كيف يمكن أن يتجمع من كل هذا ثقافة واحدة موحدة؟ وعى عام؟

كيف يتخلق من هذا وذاك ما يسمى وطننا حاضراً، وليس مجرد تاريخ؟

ما الذى يجمع كل هذه التنوعات من الثقافة والوعى فى واحد ضام يسمى "الوعى العام"، وهو غير المشروع القومى، غير الوطنية الهتافية الغنائية، وغير ادعاء المواطنة، ما الذى يجمعنا وقد تخثر الوعى إلى كل هذه القطع المتباعدة؟

الإعلام التشتيتي؟، الأحزاب الوهمية؟، مظاهرات الجوعى؟، نار الغلاء؟، ظلام اليأس؟ **الأمل العنيد المشترك؟** الدين الرسمى؟ الدين الشعبى؟، أحزاب المعارضة؟ ربنا؟

#### أرسل تعليقا

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

[http://www.rakhawy.org/a\\_site/everyday/sendcomment/index.html](http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html)

The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>

Pr. Yahia Rakhawy Web Site

[http://www.rakhawy.org/a\\_site](http://www.rakhawy.org/a_site)